بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: ٩٥ **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ: ٢٢/ ٢٠٢٤/١٠م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال كلامنا في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾.

تعرضنا في البحث السابق إلى أن بعض الآيات عبرت بذكر ﴿اسم ربك﴾، وبعض الآيات عبرت بذكر ﴿ربك﴾ فهل يوجد بينهما فرق؟ وهل نستطيع من هذا الفرق تعيين المراد من الآية؟

باعتقادي نعم، بينهما فرق، وهذا الفارق هو الذي سوف يعيّن لنا المراد من الآية في اختلاف آخر.

في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ في كما في هذه الآية وفي قوله في سورة الأعراف ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةَ﴾[1] بينهما فرق كبير:

ذكر الاسم مع ذكر المسمى إشارة إلى مرتبتين من مراتب الذكر، وقد تقدم عندما بحثنا عن الذكر إن من أدنى مراتب الذكر هو الذكر اللساني، والذكر اللساني يكون بذكر الاسم، ويكون ذكر الاسم مقدمة للوصول مرتبة أعلى وإلى استحضار المسمى بكماله وجماله وجلاله.

أما ذكر المسمى مباشرة فيكون عند استحضار آلائه ونعمه، فيستحضر بصفاته عند كل نعمة، وعند كل بلاء، وعند كل مصيبة، ويستحضر حقيقة، ولذا في الآية في سورة الأعراف ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةَ﴾[2] الذكر في النفس هو الاستحضار، لا بمعنى أن النفس تستحضر الاسم، فالاسم هو ذكر لساني، أما استحضار الذات بجمالها وجلالها عند الآلاء والنعم والبلاءات والمصائب هو ذكر حقيقي.

من هذا المنطلق نحسم الأمر في خلاف آخر، الخلاف الآخر هو أنه في هذه الآية هل المقصود من الذكر مطلق الذكر –أي وقت من الأوقات اذكر الله فأقول سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر– أما أن المقصود هو ذكر مخصوص –وهو الصلاة؛ لأن الصلاة ذكر–؟

وقع بينهم، نستطيع أن نؤيد القول الثاني بقرينتين داخليتين:

---

[1] الأعراف: ٢٠٥

[2] الأعراف: ٢٠٥

القرينة الأولى: ذكر الأوقات ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلا () وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ فهذه قرينة داخلية، وسوف يأتي أن هذه الأوقات إشارة إلى الأوقات الثلاثة والصلوات الخمسة.

القرينة الثانية: نستفيدها من البحث السابق، وهو أن هذا ذكر الاسم، وليس ذكر المسمى، فذكر الاسم في وقت مخصوص ومعهود في ذهن الشارع يكون قرينة واضحة على إرادة الصلوات.

وتوجد قرينة خارجية: في سورة المزمل من أولها: بسم الله الرحمن الرحيم يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾.

قم الليل لتتهجد وتتعبد، وأهم عبادة هي الصلاة. فهذه مسلم عندهم أن المقصود الإشارة إلى الذكر الصلواتي. وهذا التعبير المشابه لما في سورة الإنسان يكون قرينة على أن المقصود من ذلك ذكر الصلاة.

وهذا لا ينافي أن الذكر على كل حال هو خير ومرغوب للباري تبارك وتعالى، ولكن هنا يريد أن ينصص على ذكر الصلاة.

في هذه الآيات كما لاحظنا الآيات في سورة الإنسان يوجد نوع من الالتفات، نحن في الآية خمسة وعشرين قبل ذلك في الآية الثالثة يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلا﴾ فـ ﴿نحن﴾ ضمير متكلم، وعندما تابع كان ينبغي أن يقول فاصبر لحكمي إذ هو يتكلم عن نفسه، ثم في الآية التي بعد واذكر اسمي، فهنا حصل التفات من التكلم إلى الغيبة؛ لأن الاسم الظاهر بمثابة الضمير الغائب، وهذا كثير في القرآن الكريم، يكون الباري تبارك وتعالى يتكلم عن نفسه ثم يلتفت فيتكلم عن نفسه باسم الاسم الغائب، وهذا لا بد له من نكتة.

مثل السكاكي ركز على نكتة تغير الأسلوب حتى لا يمل السامع، فالإنسان إذا بقي يتكلم بأسلوب واحد يحصل ملل للسامع، فهنا يغير الأسلوب تارة بصورة متكلم وأخرى بصورة مخاطب وثالثة بصورة غائب، فتغير الأسلوب يدفع الملل عن نفس السامع.

ولكن هذا لا نقبله، هنا الالتفات في الآية فيه نكتة في غاية الأهمية، نظير الالتفات في سورة الكوثر ﴿إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ فـ ﴿إنا﴾ يعني نحن، فكان مقتضى الظاهر أن يقول إنا أعطيناك الكوثر فصلي لنا، هذا إذا أردنا أن نحافظ على سير الضمير.

فلم يقل فصل لنا لأنه يريد أن يبين أن هذه الصلاة لأجل مقام الربوبية، لكون الباري تبارك وتعالى هو المدبر، وهو الرب، وهو المربي، فهذا يحتاج إلى شكر، هذا المعنى لا يحصل لو قال فصل لنا.

مثلاً: لو قلت لكم: أرغب أن أقول لكم شيئاً [أنا ضمير متكلم] فينبغي أن تحترموا الذي درسكم. فرق بين أن أقول فينبغي أن تحترموني، فالاحترام ليس لذاتي، وإنما لأجل أن الأستاذ محسن للتلميذ.

الله تبارك وتعالى هكذا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي لمقام الربوبية نحتاج هذه الصلاة؛ لأنه له حق علينا، هذا المقام مقام التدبير والربوبية والتربية يحتاج إلى مقابلته بالصلاة.

في هذه الآية المباركة أيضاً، هذا الالتفات كان جداً في محله، فقال: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ لم يقل فاصبر لنا. المسألة ليست عبودية من دون إعمال الحق والعقل، هي عبودية لمقامه تبارك وتعالى ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يعني الذي دبر لك التشريع، وجاء لك بالتشريع الذي يوصلك إلى الصواب. ثم قال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ ولم يقل واذكر اسمي. هذا الاسم الذي لمقام ربوبيته ولمقام تدبيره ولمقام نعمه ومنحه.

هذا النوع من الذكر اللساني هو الذي يوصلك إلى الذكر القلبي، لا مجرد القول بسم الله أو سبحان الله أو الحمد لله، أحمده وأنزهه وأشكره لمقام ربوبيته، عندما التفت إلى هذا المقام يستحضر المسمى عندي بجلاله وجماله، فيكون محموداً ومنزهاً ومذكوراً بحق.

﴿بُكْرَةً﴾ يعني الصباح.

﴿وَأَصِيلا﴾ إذا تتبعنا كلمات أئمة اللغة نجد ويستفاد منهم أقوال متعددة في كلمة الأصيل، وهذا نتابعه في الدرس القادم.